

# تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 11- سورة الحج | الآية 52

عبدالرحمن العجلان

الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان  
الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه. سواء العاكف فيه -

00:00:00

والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم مذقه من عذاب اليم في هذه الاية الكريمة يبين جل وعلا تعدي وظلم الكفار الذي استحقوا به الحكم  
السابق عليهم في الايات السابقة وقال جل وعلا ان الذين كفروا -

00:00:41

ويصدون عن سبيل الله يصدون بمعنى يمنعون الناس عن الاسلام ويمنعون الناس عن التفهم لما بعث الله  
به محمدا صلى الله عليه وسلم فمن رأوه -

00:01:19

جاء حول النبي صلى الله عليه وسلم شنعوا عليه واذوه ومنعوه ولم يكن من جرمهم انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وخلوا  
بينه وبين الناس لا بل زيادة على كفرهم منعوا الناس -

00:01:48

عن المجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم. والأخذ عنه والاستماع لما يقوله صلى الله عليه وسلم ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل  
الله. والمسجد الحرام كذلك يصدون يمنعون الناس عن المسجد الحرام -

00:02:16

يمنعون المسلمين عن الاتيان والوصول الى بيت الله الحرام. وقد حصل هذا منهم فقد احرم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمره من  
المدينة متوجهها الى مكة فمنعه المشركون وصدوه عن الدخول -

00:02:42

حصل بعد ذلك ما حصل من صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش على ان يرجع من هذه السنة جاء محظيا  
هو وصحابته الكرام وهم افضل خلق الله -

00:03:10

في ذلك الوقت والنبي صلى الله عليه وسلم افضل الخلق على الاطلاق واحب الخلق الى الله ومنع من الوصول الى بيت الله الحرام  
ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبعد -

00:03:35

يمنعون الناس عن الوصول الى المسجد الحرام. والحال ان المسجد الحرام ليس ملك وليسوا مختصين به ولا لهم ميزة على غيرهم.  
فالمسجد الحرام من ميزته ان يستوون فيه المولود فيه -

00:04:00

والقيم فيه والوافد اليه من قريب او بعيد. كل المسلمين فيه الشاوية لا ميزة لاحد على احد لا يقول بعض الناس انا موايد المسجد  
الحرام فانا احق به؟ لا ولا يقول انا مقيم فيه من عشرين سنة فانا احق من قدم من عشر سنوات -

00:04:27

بل الناس سواء ميزة الله جل وعلا على سائر البقاع بان جعل الناس في المسجد الحرام سواء وهذه في المسجد هذا الذي نحن فيه  
شرفه الله بالاجماع بان الناس فيه سواء -

00:05:02

والخلاف في مكة في بقاع مكة او بقاع الحرم كما سياتينا قريبا ان شاء الله واما المسجد هذا الذي نحن فيه شرفه الله فهذا يستوي  
فيه المقيم دائمًا وابدا والوافد اليه من قريب او بعيد -

00:05:27

فكون المرء يمنع الناس من بيته او مما يخصه مثلا في غير المسجد الحرام لكان لذلك وجه لكن اولئك الكفار جنوا جنایات متعددة  
فهم كفروا بالله وصدوا عن سبيل الله. وصدوا عن بيت الله الحرام -

00:05:53

الذى جعلناه للناس سواء العاکف يعني المقيم المستمر العاکف من العکوف والعکوف الاقامة في المکان والباد يعني القادر اليه والمراد بالباد او الباد القادر من البادية وسواء كان قادما من البادية او قادما من مدينة اخر او بلد اخر. لكن قيل - 00:06:25

لانه لا يصل الى مکة الا بعد ما يمر في البادية يخرج من بلاده ويمر بالبرية بالبادية يصل الى مکة. فلا يوصل اليها الا من طريق البادية الذي جعلناه للناس سواء العاکف فيه والباد. ومن يرد فيه - 00:07:02

في الحاد بظلم من يرد يرید في المسجد الحرام يرید فيه الالحاد والالحاد المیل عن القصد والمیل عن القصد قد يكون مال عن الشر الى الخیر وهذا يحمد عليه وقد يكون مال عن الخیر الى الشر. وهذا يذم عليه - 00:07:30

ويبين جل وعلا المراد بان الالحاد المیل في هذه الاية. المیل من السبیل طريق السوی الى الى المحرم الى الظلم والظلم التعذی لحق الغیر واظلموا الظلم الشرک بالله ثم يليه - 00:08:03

ظلم العباد والله جل وعلا كما في الحديث القدسي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محربا. يقول جل وعلا فلا تظالموا ومن يرد فيه بالحاد بظلم وانتبه لقوله يرد - 00:08:36

ارادة لم يقل ومن يعمل مجرد اراده الظلم بمکة يعاقب عليها المرء لهم السینة في مکة يعاقب عليها وذلك زيادة في حرمة مکة شرفها الله وقد ورد في الحديث الصحيح - 00:09:00

من هم بسینة فلم يعملاها كتبها الله حسنة كاملة من هم بسینة فلم يعملاها كتبها الله حسنة كاملة. هذا في غير مکة واما في مکة فمن هم بسینة اخذ بها وان لم يعملاها - 00:09:27

ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذیق جواب الشرط جزء الشرط ما هو نذقه من عذاب الیم توعد الله جل وعلا من اراد الظلم بمکة او هم بظلم بمکة او عزم على ظلم بمکة وان لم يفعله بهذا الوعید الشدید - 00:09:52

والظلم قيل الشرک وقيل القتل وقيل المعاصی مطلقا حتى قال بعض السلف بلى والله ولا والله يعني الحلف بغير حق يعتبر من الالحاد بظلم روي عن بعض السلف رحهم الله انه - 00:10:25

اذا اراد ان يؤدب ولده او اهله خرج عن مکة الى الحل يخشى ان يتتجاوز للتعذیب فيصل الى حد الظلم تشمله هذه الاية بهذا الوعید وقوله جل وعلا ان الذين كفروا ويصدون - 00:10:55

هنا عطف المضارع يصدون على الماضي وهو كفروا كفروا ما ويصدون مضارع قال بعض المفسرين لان المراد بالمضارع هنا ما مضى من الصد يعني من المنع لانه قال ان الذين كفروا وصدوا عن سبیل الله والمسجد الحرام - 00:11:26

قالوا جاز عطف المضارع على الماضي لانه مرادا بهذا المضارع ما مضى وقيل المراد بالصد هنا الاستمرار لا مجرد المستقبل فصح عطفه بذلك على الماضي اي كفروا والحال انه مستمرون في الصد عن سبیل الله - 00:12:06

وقال بعض اهل اللغة ان الذين كفروا يصدون عن سبیل الله الواو هنا زائدة داخلة على خبر ان ان الذين كفروا يصدون عن سبیل الله. يعني اخبار عن ما جنوه من الاثم - 00:12:39

وكونه مرادا بالمضارع ما مضى او ما يستقبل باستمرار هذا اولى من اجل ان يكون الخبر يقدر فيما بعد ان الذين كفروا والحال انه يصدون عن سبیل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء الهاتف فيه - 00:13:06

الى الان الخبر ما جاء الخبر يقدر هنا بعد قوله سواء العاکف فيه والباد يقال خسروا وهلکوا والمسجد الحرام ما المراد به؟ هل المراد به المسجد ذاته وما زيد فيه - 00:13:33

او المراد به مکة بلد مکة كلها او المراد به الحرم يعني اولا المسجد ثم مکة ثم الحرم. لان الحرم اوسع من مکة ثلاثة اقوال المفسرين رحهم الله ويرجح ان المراد بالمسجد الحرام هنا الحرم كله - 00:13:58

ان المشرکین صدوا رسول الله صلی الله عليه وسلم عن دخول الحرم كانوا منعوه من دخول الحرم في صلح الحدیبیة كان على حد الحرم ومنع الرسول صلی الله عليه وسلم من الدخول - 00:14:31

الى الحرم الذي جعلناه للناس سواء العاکف فيه والباد يعني منسکا ومتعبدا للناس كلهم ولم يميز المقيم من القادر في مکة كما كان

في الجاهلية كان كانوا في الجاهلية في اداء المناسك - 00:14:51

قريش ومن يتبعهم يقفون في مزدلفة ولا يخرجون لعرفة والقادمون من غيرهم يقفون في عرفة فهم قالوا نحن اهل الحرم فلا نخرج منه وحينما حج النبي صلى الله عليه وسلم - 00:15:37

حجۃ الوداع وهي الحجۃ الاولی منه صلی الله عليه وسلم بعد الهجرة توقع الناس انه يقف في مزدلفة لانه من صمیم قريش صلاتو الله وسلامه عليه فامرہ الله جل وعلا ان يقف في عرفة - 00:16:06

ثم افیضوا من حيث افاض الناس فسوی جل وعلا بين اهل مکة وغيرهم في الحرم وفي احكام الحج قال القرطبی رحمه الله واجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام نفسه - 00:16:31

يعني لا میزة لاحد على احد في المسجد الحرام نفسه. المسجد هذا الذي شرفه الله واختلفوا في مکة فذهب مجاهد ومالك الى ان دور مکة ومنازلها يستوي فيها المقيم والطارى - 00:17:00

وذب عمر بن الخطاب وابن عباس وجماعة الى ان للقادم ان ينزلوا حيث وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء ام ابى وكان الناس لا يتخذون دور مکة ابوابا في السابق - 00:17:25

لينزل القادر الى مکة حيث شاء وذهب الجمهور من العلماء الى ان دور مکة ومنازلها ليست كالمسجد الحرام ولا هلاها منع الطارى من النزول فيها وبعضهم اجاز التملك ومنع التأجير وقال دور مکة لا تؤجر - 00:17:52

وانما يملکها صاحبها ولا يصوغ له ان يؤجرها. لقوله جل وعلا سواء العاکف فيه والباد وعرفنا ماخذ الخلاف من بين العلماء رحمهم الله لانه ان كان المراد مکة او الحرم في قوله جل وعلا الذي جعلناه للناس سواء العاکف فيه والباد - 00:18:27

فهذا دليل على ان بيوت مکة لا يجوز بيعها ولا تأجيرها وانما تكون للسابق اليها وبعض المفسرين رحمهم الله اراد بالمسجد الحرام هنا المسجد نفسه فقال يجوز بيع وتأجير بيوت - 00:18:56

مکة وبعضهم قال يجوز بيعها ولا يحل تأجيرها. وذكر عند الامام احمد رحمه الله ان عالما من علماء السلف سكن دارا وهرب ولم يدفع الاجرة فتبليغ الامام احمد بذلك فتبسم. تعجب - 00:19:18

من انه اخذ بقول انه لا يحل تأجيرها ولم يعنف عليه وهذا الخلاف ناشئ من فهم المراد بالمسجد الحرام ثم يتفرع عليه هل مکة فتحت عنوة او صلحا والصحيح انها فتحت عنوة - 00:19:46

لا صلحا ان النبي صلی الله عليه وسلم دخلها مقاتلا وقد احلها الله جل وعلا له ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كحرمتها بالامس كما قال صلی الله عليه وسلم وهو واقف بباب الكعبة يخطب قريشا - 00:20:17

ان الله احلها لي تكريما لرسوله صلی الله عليه وسلم فدخلها عليه الصلاة والسلام فاتحا منتبرا مؤيدا بنصر لله جل وعلا وكان في البيت ثلاثة وستون صنما وكان النبي صلی الله عليه وسلم كلما مر بواحد منها اشار اليه عصا معه - 00:20:40

فتتساقطت ولم قبل ان تم تساقطت والنبي صلی الله عليه وسلم يقول يشير اليها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا عن ابن عباس رضي الله عنهم المسجد الحرام كله - 00:21:07

خلق الله فيه سواء وعن سعيد بن جبیر مثله وايضا قال هم في منازل مکة سواء فينبغي لاهل مکة ان يتتوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا قال له عند المروءة اقطعني مكانا لي ولعقبي فاعرض عنه وقال - 00:21:32 اي عمر رضي الله عنه هو حرم الله سواء العاکف فيه والباد وكان عمر رضي الله عنه يمنع اهل مکة ان يجعلوها لها ابوابا حتى ينزل الحاج في الدور وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم في الاية سواء المقيم والذي يدخل - 00:22:00

اخوجه الطبراني وغيره قال السیوطی باسناد صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهم مرفوعا قال مکة مباحة لا تؤجر بيوتها ولا تباع رباعها اخرجه ابن واستدل الذين قالوا لان المراد المسجد نفسه دون بيوت مکة بقوله صلی الله عليه وسلم يوم الفتح من اغلق بابه - 00:22:30

فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن فنسب الدار الى صاحبها من اغلق عليه بابه او داره فهو امن. ومن دخل دار ابي سفيان  
فنسب الدار الى ابي سفيان - [00:23:01](#)

فهو امن ومن الادلة كذلك ان عمر رضي الله عنه اشتري دارا من صاحبها بمكة وجعلها سجنا والمراد بالظلم قيل هو الشرك وقيل  
الشرك والقتل وقيل التعدي على صيد حيوانات وقطع اشجاره وقيل هو الحلف فيه بالايمان الفاجرة - [00:23:18](#)

وقيل يعم جميع المعاشي حتى قال بعض العلماء حتى شتم الخادم يدخل تحت ضم الالحاد في الحرم وقيل هو دخول الحرم بغیر  
احرام. اي انه لا يجوز دخول مكة بغیر احرام - [00:23:45](#)

وقال بعضهم يدخل في ذلك احتكار الطعام. احتكار الطعام بمكة من الالحاد والمیل في الحرم وفي قوله جل وعلا نذقه من عذاب الیم  
يا اي في الاخرة الا ان يتوب لان من تاب تاب الله عليه - [00:24:13](#)

قيل المراد بهذه الآية انه يعاقب بمجرد الارادة للمعصية في ذلك المكان وقد ذهب الى هذا ابن مسعود وابن عمر والضحاك وابن زيد  
وغيرهم. حتى قالوا لو هم الرجل في الحرم بقتل رجل بعدن لعذبه الله - [00:24:38](#)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه من هم بخطيئة فلم يكتب لها في سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعملها. وان هم بخطيئة في لم يمته  
الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب الیم - [00:25:01](#)

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الآية في عبد الله بن انيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين  
احدهما مهاجر والآخر من الانصار. فافتخرتا في الانساب - [00:25:22](#)

فغضب ابن انيس فقتل الانصاري. ثم ارتد عن الاسلام وهرب الى مكة فنزلت فيه. ومن يرد فيه الحاد بظلم يعني من لجا الى الحرم  
بالحاد بميل عن الاسلام فهذه الآية فيها دالة عظيمة على تعظيم الله جل وعلا لحرمة الحرم - [00:25:41](#)

وان الواجب على المسلم ان يعظم ما عظم الله جل وعلا. فلا يتعدى فيه على مال ولا عرض ولا بدن ولا يؤذى به اخاه المسلم ولا  
يتتجاوز الحد الذي حد له ولبيق الله جل وعلا ربه وليعظم ما عظم الله جل وعلا - [00:26:09](#)

رسوله صلى الله عليه وسلم والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى الله وصحبه اجمعين - [00:26:33](#)